

خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لانطلاق المسيرة الخضراء

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، خطابا الى الشعب المغربي بمناسبة الذكرى السابعة عشرة للمسيرة الخضراء .

وفي ما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واله وصحبه .

شعبي العزيز،

في مثل هذا اليوم يوم السادس من شهر نونبر من سنة 1975 ، كنا أعطينا الأمر بانطلاق المسيرة المباركة الخضراء ، تلك المسيرة التي وحدت بلادنا العزيزة من البوغاز الى الصحراء .

فعلينا أن نهنىء أنفسنا على هذا الفوز الذي كتبه الله لنا وهذا الفتح الذي قدر سبحانه وتعالى أن يأتي على يد جيلنا . فعلينا كما قلت أن نحمده سبحانه وتعالى وأن نستخلص من تلك المسيرة ومن التفاف الشعب كله حول المسيرة ومن إدراك الشعب في الأعماق لأهداف تلك المسيرة ومنهجيتها .

فعلينا أن نتخذ من هذا كله درسا ونستخلص منه كذلك عبرا تكون لنا في المستقبل بمثابة معالم الطريق التي يجب على هذا البلد الأمين - أقول يجب - أن يقطعها إذا أراد أن يبقى ويظل في مستوى ماضيه وحاضره .

شعبي العزيز ،

منذ شهر انطلقت مسيرة أخرى ، مسيرة لا أسميها مسيرة الديمقراطية لأن الديمقراطية هي قبل كل شيء إحساس واقتناع وإيمان .

فالديمقراطية لها تعريف وكانت لها تعاريف الى حدود السنة الماضية بحسب الأنظمة والقارات والبلاد والشعوب . فلا أقول إذن إننا انطلقنا في طريق الديمقراطية ومسيرتها ، بل انطلقنا في مسيرة الأخلاق السياسية وتوزيع السلط السياسية واحترام الحقوق السياسية والانسانية واحترام كلمة الجماعة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول «ما اجتمعت أمتي على ضلال» . لا أقول اختيار جماعة القوة ولا الابتزاز ولا قوة العضلات ولا قوة الأموال ، بل قوة الايمان والنور والوطنية الحقة .

شعبي العزيز،

عليك أن تعلم أن ما ينتظرنا لا يستوقف الزمان عنده ست سنوات أو عشر سنوات ، بل أن ما ينتظرنا هو تخلق مستمر وسلوك متجدد نحو الأعلى لا نحو الأسفل . فما ينتظرنا هو جهاد النفس وكبت الشهوات والابتعاد تماما عن كل ما من شأنه أن تشم فيه رائحة التدليس أو الغش . إن الحياة البرلمانية ،

لا أقول الحياة الديمقـراطية فالديمقراطية شيء واسع لا يـدركه لا أنت ولا أنا ولا الجميع . فإذا أردنا أن نعطي تعريفا للديمقراطية فالقاموس واسع . فالديمقراطية يمكن أن يسبح فيها من أراد ويقتل من أراد ويسجن من أراد ويقـول هذه ديمقـراطية . إن الحياة البرلمانية تعني المنهج الـدستوري البرلماني الـذي يقتضي قبل كل شيء أن يتحلى النـاخب والمنتخب بـروح الأمـانـة ، تلك الأمـانـة التي لا تنقضي عند الإنتداب ، بـل تلك الأمانة التي يسلمها الأول للثاني ولـو لم يكن من حـزبه أو من هيئتـه المهنية . إنها الأمانة التي يسلمها الأول للثـاني والثاني للثالث ؛ تلك الأمانة التي قال فيهـا النبي ﷺ وما أدراك ما قال فيها : «اذا أسندت الأمـور الى غير أهلها فانتظر الساعـة» فإذا ضيعت الأمانة فانتظر السـاعة ، ويقول الله سبحـانه وتعالى « يـا أيها الذين آمنـوا إن الله يأمركم أن تـردوا الأمانـات الى أهلها» فماذا تعني تلك الأمانة إنها تعني أن كل واحد منا في أي وقت من أوقات حياته ناخبا كان أم منتخبا يجب عليه أن يحس بأنه يمارس سياسة دولته إما بكيفية مباشرة أو غير مبـاشرة ، فإذا كان هذا الإحساس موجودا ومنبثقا عن نية وطنية فإنه يجعل صاحبه لا ينام مرتاحا ويجعله كادا عاملا مجتهدا ناخبا كان أو منتخبا ليله ونهاره .

فهذه هي ـ شعبي العزيز ـ المسيرة التي أردت أن أفتحها أمامك . . مسيرة لا تدوم عشرة أيام أو عشر سنوات ، بل مسيرة تقتضي أن نفتح أبوابها أمامنـا وأن نخطو الخطوات الأولى وأن نرى أنفسنا لا في هذه السنة ولا في هذا العقد ولا في هذا القرن ، بل أن نأخـذ بأنفسنا وأن ندفعها خياليا في قرن وفي قرنين وفي ثلاثة قرون لنربي عليها أنفسنا أولا ثم أبناءنا ثانيا ليربي أبناؤنا أبناءهم وحفدتهم .

وهذا يقتضي ـ شعبي العزيز ـ احترام الدستور والنظـام الدستوري البرلماني . فاذا نحن نزعنا الهيبة عن مؤسسة البرلمان ونزعنا الهيبة عن المؤسسات المنتخبة واتخذناها فقط مطية ووسيلة ليست سنوات أو اثنى عشرة سنة سوف نكون كالذي يحصد العاصفة لأنه زرع الرياح .

فاذا نحن أردنا ـ شعبي العزيز ـ أن نجني من تجربتنا مستقبلا ـ إننا لا نجني النتائج ، بل نجني المستقبل ـ فعلينـا أن ندخل هذا العصر ونـدخل مسيرة الحياة الدستوريـة النيابية بنفس الايمان والـوقار والخشوع والجدية التي نـدخل بها الصلاة بالمساجد وبالأخص الى مسـاجد الحرام وإن كان لا مجال هنا للمقارنـة بين الأمرين . فحـاشا معاذ اللـه أن يكون ذلك . إنها مسألـة مصيرية لأن العـالم أصبح اليوم أحب أم كره ملزما بأن يعيش في إطار كهذا .

وأنت ـ شعبي العـزيز ـ مـؤهل طبيعة وتاريخا لأن تتخلق بـالأخلاق الحسنة ومـؤهل لأن تتعامل بالتعامل الجدي ، فتاريخك يشهد لك بهذا .

شعبي العزيز،

نحن من أقدم الـدول المنظمة الموجودة في العالم . وأقـول ذلك بتواضع ولكن باعتزاز، لأننـا دولة عمـرها 1200 سنة ، وذات شعار ونظـام وحدود وقوانين وهيـاكل ـ فلو لم يكن هذا كلـه لعصفت بنا العواصف ولـذهبنا ادراج الـرياح . لكننا بقينـا ـ ولله الحمـد ـ رغم جميع الأخطـار وجميع المكاره وجميع الأطماع كتلك الشجرة التي أصلها في الأرض العميقـة وفرعها في السماء تنتظر كل يوم من اللـه سبحانه وتعـالى أن يسقيهـا من رحمته ، وحتى لـو كـان أن تسقى من دمـاء أبنـائها الـذين استشهـدوا في سبيل استمرارها ودوامها .

شعبي العزيز،

إنك لم تألف مني مخاطبتك بمثل هـذا الخطـاب ، نعم ، لأني يومـا بعد يـوم أقـرأ وأطالع وأقـابل ويتضح لي أنه لا مناص من الحياة التمثيلية الدستوريـة البرلمانية . لقد أحببنا هذا ونحبه لأنه لا يتعامل في إطار كهذا إلا القوي معنويا ، إلا الشخص أو الشعب الـذي ليس له أدنى مركب ، إلا الوطن الذي له معالم الطريق كلما رأى في مرآة الماضي وجد تلك المعالم ترجع به الى ما يزيد على 1000 سنة .

لـذا ـ شعبي العـزيـز ـ فإن المسيرة التي أدعـوك لخوضها والسير في نهجهـا أريـد وأرجو من اللـه سبحانه وتعالى أن لا تكون لها نهاية . فأبناؤنا وحفدتنا والأجيال التي ستاتي بعدنا لن ترى لها نهاية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لأن هذه المسيرة عليها أن تستمر إلى أن تنتهي الحياة على الأرض و أن تسير من كمال إلى أكمل ومن حسن إلى أحسن لنتطور يوما بعد يوم ، لنكون في مقدمة الركب وليس ملتحقين به .

لهذا ـ شعبي العزيز ـ كن على يقين من أن ما قلتـه لك في آخر خطاب عند خوضك الانتخابات البلدية والقرويـة هو الشيء الذي سأكرره وهو انني مؤمـن بالحياة النيابية الدستوريـة وبالحوار وبتآلف النـاس وبعقولهم لا بعضـلاتهم ولا بعددهم كيفما كـان ، بل بكيفهم . وإذا أراد الله أن يكـون الكيف والكم معا فعندئذ سنحمده سبحانه وتعالى على نعمتين .

فأنا مـؤمن بهذا كله ، وعليك أن تؤمن بـه أنت كذلك . وقد قـال الله سبحانه وتعـالى على لسان رسوله في الحديث القدسي : «يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته حراما بينكم فلا تظالموا» .

وقلت لكم اقتـداء بهذه الصيغـة إنني حـرمت الغش على نفسي وجعلتـه حرامـا بينكم . فحـرام عليكم أن تحاولـوا الغش أو أن يحاول أحـد منكم الغش في مسـؤوليـة كمسؤوليـة الانتخـابـات لا من النـاخب ولا من المنتخب لأن عـاقبة هـذا الأمـر سترجع على الجميع . . على جميع الهيئـات السياسيـة والنقابية . ولا أريـد أن يكتب عن المغرب في التاريخ أنه حاول إدراك شيء كان بمقـدوره أن يناله ولكن أخطأه لأنه كان قليل الجدية وقليل الوعي السياسي .

شعبي العزيز . .

إنني في مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي رجعت من جولة في بعض الدول العربية الشقيقة . وكما رأيت ـ شعبي العزيـز ـ فقد استقبلت من لدنها ملوكا وأمـراء ورؤساء وشعوبا بتقدير وحـرارة وعاطفة . إنني لست من المغترين . ففي الحقيقـة ليس الحسن الثاني هو الـذي اقتبل ، بل أنت ـ شعبي العـزيز ـ الذي اقتبلت . أنت الذي عكست دائما مطامحي وأنا الذي حاولت دائما أن ألبي مطالبك .

شعبي المغربي ، شعبي العـزيز ، الذي أخـاطبه اليوم هو الـذي كان محل تلك الحفاوة وهـو الذي كان محل ذلك التقدير وهو الذي كان محل ذلك التكريم .

فكن ـ شعبي العزيز ـ جديرا بهذا كله حتى ينطبق علينا وعد الله سبحانه وتعالى ، وسيكون ذلك ختـام خطابي «وعـد الله الـذين آمنـوا منكم وعملوا الصـالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبدلنهم مـن بعد خـوفهم آمنـا» صدق اللـه العظيم والسلام .

10 جمادى الأولى 1413هـ موافق 6 نونبر 1992م